الموقع الرسمي لـ:

الأستاذ الدكتور موسى إسماعيل

مقاصد الصيام

إعداد:

أ.د/ مُوسَى إِسْمَاعِيلَ

الصّيام يوحّد صفوف المسلمين ويؤلّف بين قلوبهم.

إذا دخل شهر رمضان تجلّى للعيان قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿92﴾﴾ [الأنبياء: 92]، بحيث يصبح المجتمع الإسلامي جسدًا واحدًا كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضًا، ويتسارع أهله إلى مدّ جسور التّواصل، وإشاعة أجواء التّكافل والتّعاون، وبثّ روح المحبّة والألفة.

إنّ صيام رمضان مدرسة تلهب مشاعر الوحدة والتّآخي، وتطفئ جذوة التّفرّق والتّشرذم والخلاف.

ومن هذه المدرسة الرّبّانية تتخرّج في كلّ سنة قوافل المؤمنين والمؤمنات لتتابع سيرها بخطوات ثابتة متّزنة، وهمم عالية سامقة، وقلوب مترابطة متّحدة.

ومنها يتعلّم المسلمون معنى الوحدة، لأنّ الشّعور واحد والشّعائر واحدة، فتزول الفوارق والانقسامات وتختفي الأحقاد والحزازات.

الكلّ صائم، والجميع ينتظر دقّات الغروب للإفطار في وقت واحد، ويقفون في صفوف متراصّة خلف إمام واحد لا يتخلّفون عنه ولا يختلفون عليه، متّجهين إلى قبلة واحدة يعبدون ربًّا واحدًا.

وهذا من أسرار العبادات في الإسلام، التي تربّي المجتمع على الأخوّة والإيثار ونكران الذّات، يشعر كُلّ واحد بأخيه، يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويتألّم لألمه.

وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ».

الصّيام ينمّي الإحساس بمعاناة ذوي الفقر والحاجات.

الصّوم يجعل الصّائم يشعر بمعاناة الفقراء وألم المساكين وبؤس المعوزين الذين أرهقهم الجوع وأثقل كاهلهم شظف العيش ومرارة الحرمان، فيسعى إلى السّؤال عن حالهم والعطف والشّفقة عليهم والرّحمة بهم وقضاء حوائجهم ويمدّ يده بالعون إليهم، ممتثّلًا في ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿8﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿9﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿10﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿11﴾﴾ [الإنسان: 8 ـ 11].

وقد سُئل أبو عبد الله بن الحسين رحمه الله عن الصّوم لِمَ أوجبه الله تعالى؟ فقال: «لِيَجِدَ الْغَنِيُّ الْجُوعَ فَيَعُودَ بِالْفَضْلِ عَلَى الْفَقِيرِ».

الصّيام يحفظ الصّحّة ويقي الجسم من الأمراض.

فقد قرّر الأطباء في القديم والحديث أنّ للصّوم تأثيرًا عجيبًا في علاج الأمراض، وتخليص الجسد من العلل، وأنّه يساعد على تنظيم الهضم، والتخلص من السّموم والميكروبات، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿184﴾﴾ [البقرة: 184].

مقاصد الصيام

إنّ شريعة الله تعالى مبناها على جلب المصالح وتحقيق المنافع، ودفع المضار ودرء المفاسد، كما أفصح عن ذلك ابن القيم في إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين بقوله: «فإنّ الشّريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلّها، ورحمة كلّها، ومصالح كلّها، وحكمة كلّها».

وهذا هو ما أراده عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين قال: «إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأرعِها سمعَك، فإنّه خيرٌ يأمُرُ بِهِ أوْ شرٌّ يَنْهَى عَنْهُ».

ومن جملة ما شرعه الله تعالى لعباده الصّيام، ولا شكّ أنّه عزّ وجلّ شرعه لمقاصد كثيرة وحكم جليلة وغايات نبيلة يضيق المقام عن استقصائها، ويكفي أن نشير إلى بعضها، وهي ما يأتي:

الصّيام يعين العبد على تقوى الله.

كشف الله سبحانه وتعالى عن حِكْمَة الصّيام فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿183﴾﴾

[البقرة: 183]، فبيّن أنّ الصّوم طريق لتقوى الله عزّ وجلّ. والتّقوى مصدر اتّقى، واتّقى معناه اتّخذ وقاية، وممّا جاء في معنى التّقوى قول بعضهم: التّقوى ترك ما حرّم الله وأداء ما افترض.

الصّيام يطهّر المسلم من الذّنوب والخطايا.

جعل الله تعالى للعباد محطّات متعدّدة ومناسبات مختلفة لغسل السّيئات والتّطهّر من الذّنوب، وهو ما أشار إليه الحديث الشّريف عند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتُ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**».

فالصّلوات الخمس هي محطّة المسلم اليوميّة، والجمعة محطّته الأسبوعيّة، ورمضان محطّته السّنويّة، وفي كلّ هذه المحطّات يتوقّف عندها ليجدّد إيمانه ويقوّي صلته بالله، ويحاسب نفسه ويستغفر ربّه عمّا فرّط فيه ويعلن توبته عمّا قصّر فيه من العمل واقترف من معاصي وآثام.

ومن هنا استحق رمضان أن يسمّى بشهر الغفران، ففي الصّحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

الصّيام يعلّم الصّبر والتّحمّل.

الصّوم يقوّي في المسلم خلق الصّبر، لأنّه يجوع ويعطش وبقربه أشهى الطّعام وألذّ الشّراب ولا يفطر، فيتعلّم كيف يتحمّل الصّعاب ويكابد المشاق ولا تؤثّر فيه المآسي والمحن.

يتعلّم الصّبر على أداء الطّاعات وعن ترك معصية الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿90﴾﴾ [يوسف: 90].

ويتعلّم الصّبر على ما يصيبه من مصائب ومشاق، كما قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿17﴾﴾ [لقمان: 17].

الصّيام يقطع على الشّيطان سبيل الغواية.

ففي الحديث في الصّحيحين عن صفيّة بنت حُيَيّ رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**»، ومعنى ذلك أنّه إذا جرى في عروق بني آدم تسلّط عليه بالوسوسة وزيّن له الشّرّ والسّوء وأنساه ذكر ربّه.

ومن جملة الأسباب الدّافعة لشرّه والأدوية المخلّصة من وسوسته الصّوم، لأنّ فيه تضييق لمسالك الشّيطان فيقل إغراؤه وتزيينه، كما دلّ على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ،**